نظرية المعرفة عند ألاستر ماكينتاير

آيات عبد الرحيم سيد عبد الرحمن (*)

ملخص البحث: يتناول هذا البحث نظرية المعرفة عند الفيلسوف الاسكتلندي ألاستر ماكينتاير(١٩٢٩-.....؟), وهي بمثابة نقطة انطلاق للكشف عن ايديولوجيته وفلسفته السياسية, وكيف أثرت نظريته المعرفية في رسم ملامح فلسفته بصفة عامة وفلسفته السياسية بصفة خاصة.

أما عن المنهج المستخدم في البحث: فهو المنهج التحليلي النقدي التاريخي المقارن.

الكلمات المفتاحية: (المبادئ الأولى), (التقاليد), (الحقيقة), (العقلانية), (التاريخية).

Abstract: This Research deals with the theory of knowledge of the philosopher" Alasdair Macintyre" and it is a starting point for revealing his ideology and political philosophy, and how his cognitive theory influenced the features of his philosophy in general and his political philosophy in particular.

As for the method used in the research, it is the comparative historical critical analytical method.

Keywords: (Tradition), (The Truth), (Rationality), (Historical), (First principles).

(*) هذا البحث مستل من من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [الفلسفة السياسية عند ألاستر ماكينتاير]، تحت إشراف أ.د. محمود السيد مراد – كلية الآداب - جامعة سوهاج & د. حمدي عبد الحميد محمد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

مقدمة: سنتناول في هذا البحث نظرية المعرفة عند الفيلسوف الاسكتلندي ألاسترماكينتاير, ونتناول المبادئ الأولى والأزمة المعرفية لديه, وأيضا سمات نظرية المعرفة, وماهية الحقيقة التي تكشف عن جوهر الشئ وهي الهدف والغاية من البحث العقلاني, ونتناول النسبية والتقاليد, ونتناول فيه النسبية بصفة عامة والتي هي نقيض ما هو مطلق, ونسبية ماكينتاير بصفة خاصة والتي تظهر في فلسفته السياسية والأخلاقية, والتي تظهر في التقاليد المتنافسة, وسنوضح ارتباط الوجود والواقع بالتاريخ لديه, حيث لا وجود خارجه. وكيف أثرت نظريته المعرفية في فلسفته السياسية, وكيف شكلت تصوراته وآرائه في السياسة بصفة خاصة.

الأزمة المعرفية والمبادئ الأولى: عند ذكر الأزمة المعرفية والمبادئ الأولى يجب توضيح السببية والمبادئ بشكل كاف فقط ضمن مخطط فكري يتحرك فيه العقل نحو نهايته المناسبة, والغاية الخاصة به, حالة محققة يتم إبلاغه فيها من خلال فهم تقدمه نحو تلك الغاية, وهذا ليس مستقلا عن سياق النظرية التي يتم توظيفها من خلاله, بإدراكنا لهذا, نواجه حقيقة مألوفة حول خلافات الفلسفة الراديكالية النظرية والمصطلح لا ينفصلان إلى حد ما, وكلما كان الخلاف حول النظرية أكثر جذرية, زادت إحتمالية أن يجد كل طرف نفسه خاطئا في تعابير منافسيه, وهي مصطلحات تستبعد الموارد المفاهيمية اللازمة لتوضيح موقفها, تتعزز هذه الصعوبة اللغوية من خلال الحاجز الذي يشكله الاقتناع الذي لاحظته في البداية, وهو الحاجز الذي تشترك فيه مدارس الفلسفة المعاصرة المختلفة, والتي غالبا ما تكون معادية لبعضها البعض, وثقافة الحداثة عموما[1]. وفقا لوجهة النظر هذه, اختيار القيام بذلك لغرض معين ضمن سياق معين, لذلك نحن في نوع واحد من النظام الرسمي قد نرغب في التعامل مع نظرية مشتقة ما يتم التعامل معه في نوع آخر كبديهية, ولكن الأمر لا يقتصر على أن أولية المبادئ الأولى قد نسبت إلى السياقات الاجتماعية والأغراض الفردية, إن هذا الكون المعاصر للخطاب ليس له مكان بداخله لأي تصور لغايات ثابتة, لأهداف يجب اكتشافها بدلا من تحديدها أو اختراعها, المبادئ الأولى حقا,

[1]Alasdair Macintyre: First Principles, Final Ends, and Contemporary Philosophical Issues, Milwaukee: Marquette University Press, 1990,P.8.

يمكن أن يكون لها مكان فقط داخل كون يتميز بنهايات معينة محددة وثابتة وغير قابلة للتغيير, وهي نهايات تمثل معيارا بالإشارة إلى أهدافنا الفردية ورغباتنا واهتماماتنا وقراراتنا يمكن تقييمها بشكل جيد أو توجيهها بشكل سيئ[٢].

والمبادئ النظرية تزود العقل النظري بغاياته , نهاياته المحددة, عندما يجد الأكويني أطروحاتهم المركزية المتعلقة بالمبادئ الأولى مرفوضة داخل الثقافة المعاصرة بشكل عام وكذلك داخل الفلسفة فقد يكون من المغري المضي قدما عن طريق الرفض, ولكن هذا الإغراء يجب أن يقاوم, لأنه سيتضح أن الاعتبارات التي تؤخذ في سياق الخطاب المعاصر, إما لدعم أو تفترض إنكارا لاحتمال وجود إما مبادئ أولية أو نهايات نهائية, إن ما يجب أن يكون له أولها أكبر اهتمام بانكاره التداعيات التي يفترض في الوقت الحاضر عادة أن تتبعها, تنكر أولى هذه الأطروحات وجود المبادئ الأولى المعرفية, وهو نوع المبدأ الأول الذي يقدمه الكوجيتو الديكارتي[٣]. إن العقل المحقق للمعرفة يستجيب للموضوع كما هو عليه وكما سيكون بشكل مستقل عن معرفة العقل به, يعرف العقل نفسه في الدرجة الثانية من المعرفة بعملياته الخاصة, ويعرفه أيضا الآخرون في تلك العمليات, ولكن هذه المعرفة عند تحقيقها لا تحتاج إلى يقين من النوع الديكارتي, ويمكن للمرء أن يعرف دون أن يمتلك حتى تلك المعرفة الاضافية للمبادئ الأولى, وكل المعرفة حتى في المراحل الأولى من البحث هي إنجاز جزئي واستكمال للعقل, لكنها مع ذلك تشير إلى ما وراءها إلى انجاز أكبر كلي, بطرق ربما لم نستوعبها بعد. ونجد أنه بالنسبة للديكارتي, إذا علمنا يجب أن نعرف أننا نعلم, فالديكارتي يشير إلى نقطة البداية التي تضمن المعرفة, على النقيض من ذلك بالنسبة للتوماوية, تتضمن معرفتنا الحالية إشارة إلى تلك المعرفة الخاصة بالمبادئ الأولية والتي إذا حققناها ستعطينا معرفة لاحقة بالمعرفة التي لدينا الآن[٤].

وما يحاول ماكينتاير توضيحه هو عدد من الروابط المفاهيمية التي تربط بين مفاهيم مثل المتعلقة بالأزمة المعرفية, والسرد والتقاليد والعلوم الطبيعية والشك, هناك مجموعة من الخلافات حيث أصبحت الروابط بين هذه المفاهيم بحد ذاتها

[2] Ibid, Op.Cit,P.8.
[3] Ibid, P. ١٠.
[4] Ibid, P. 15.

قضية مركزية, وأُشير بالطبع إلى النقاشات التي نشأت عن المواجهة بين فلسفة توماس كون في العلم وآراء فلاسفة العلم ورثة كارل بوبر, وليس من الغريب أن تتضمن المواقف التي اتخذتها استنتاجات حول تلك الخلافات وهي استنتاجات ليست مماثلة تماما لتلك التي توصل إليها أي من المشاركين الرئيسيين, ربما يرجع ذلك إلى أن المفاهيم التي درستها مثل تلك المتعلقة بالأزمة المعرفية وعلاقة الصراع بالتقاليد, ومواقف بعض الخصوم لاسيما توماس كون وايمري لاكاتوس يمكن رؤيتها على أنها تتقارب بمجرد أن تنحرف بالطرق التي تحرك بها الأبطال في إعادة صياغة متتالية لمواقفهم[٥].

إن مفهوم العقلانية والحقيقة كما يتجسد في التقليد الذي يشكل استقصاء يتعارض بالطبع بشكل لافت للنظر مع كل من التفسيرات الديكارتية القياسية والهيجيلية للعقلانية, لأن كل تقليد عقلاني من هذا القبيل يتضمن مجموعة من المعتقدات الراسخة, فإن عقلانية التقاليد لا مفر منها ضد الديكارتي, قد يخصص اتباع التقليد مكانا أساسيا في هياكل تنظيرهم لحقائق معينة ويعاملونها على أنها مبادئ ميتافيزيقية أو عملية أولى, لكن مثل هذه المبادئ يجب أن تثبت نفسها في العملية التاريخية للتبرير الدياليكتيكي, من خلال الإشارة إلى هذه المبادئ الأولى كما رأينا في كل من النظريات الأفلاطونية والأرسطية عن التفكير العملي, كل من الأحكام العملية الخاصة, وهذه المبادئ الأولى , والنظرية الكاملة التي هي جزء منها سيتم فهمها على أنها تتطلب تبريرا[٦].

إن نوع التبرير العقلاني الذي يقدمونه هو في نفس الوقت ديالكتيكي وتاريخي, ومن ثم فإن هذه المبادئ الأولى ليست مكتفية ذاتيا, قد يتم بالفعل اعتبارها ضرورية وواضحة على حد سواء, لكن ضرورتها وبنائها الواضح لن يتميز على هذا النحو إلا لأولئك الذين تم تأطير فكرهم بنوع المخطط المفاهيمي, الذي ظهروا منه كعنصر أساسي في صياغة وإعادة صياغة النظريات التي

[5] Alasdair Macintyre:The Tasks of Philosophy: Selected Essays, Volume 1., Cambridge: Cambridge Univ. Press, 2006. P.15.

[6] Alasdair Macintyre: Whose Justice? Which Rationality?, Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1988. P.360.

أسترشد بها هذا المخطط المفاهيمي المتطور تاريخيا, يمكن للعقل من خلال قواه الخاصة أن يعرف نفسه, إن المعرفة المطلقة للنظام الهيجلي هي من وجهة النظر التقليدية هي الوهم, لا يمكن لأي شخص في أي مرحلة أن يستبعد الإحتمال المستقبلي لمعتقداتهم الحالية والأحكام التي تظهر على أنها غير كافية, تفشل التقاليد في الإختبار الديكارتي للإنطلاق من الحقائق التي لا يمكن دحضها, كما تفشل التقاليد في الإختبار الهيجلي لإثبات أن هدفها هو حالة عقلانية نهائية تشترك فيها مع جميع الحركات الفكرية الآخرى, والطريقة التي يستجيب اتباع التقليد لمثل هذه الأحداث من النجاح أو الفشل, تصل التقاليد إلى النضج الفكري أو تفشل في تحقيقها, وهذا الحدث ما يطلق عليه(الأزمة المعرفية)[٧].يمكن مواجهة أزمة معرفية بطريقة مختلفة تماما, قدم الأكويني إطارا مفاهيميا ونظريا جديدا وأكثر ثراء, والذي من خلاله كان أي شخص يعطي ولاءه لكل من التقاليد الأرسطية والأوغسطينية قد سقط بالضرورة إما في عدم الاتساق أو من خلال رفض أحدهما إلى انحياز عقيم, يواجه كل تقليد سواء كان يعترف بالحقيقة أم لا احتمال وقوعه في وقت ما في المستقبل في حالة أزمة معرفية, يمكن التعرف عليها على هذا النحو من خلال معاييره الخاصة للتبرير العقلاني, قد تتسبب جميع المحاولات لنشر الموارد الإبداعية والمبتكرة التي يمكن أن يوفرها اتباع التقليد, إما فقط من خلال عدم القيام بأي شئ لمعالجة حالة العقم وعدم الترابط التي وقع فيها البحث أو عن طريق الكشف عن مشاكل جديدة أو عيوب وقيود جديدة, قد ينقضي الوقت ولا تظهر أي حلول أخرى[٨]. وبعد ما أوضحنا الأزمة المعرفية التي تحدث داخل التقاليد, وكيف أن التقاليد فشلت في الانطلاق من الحقائق التي لا يمكن دحضها والشك فيها, وأنها تشترك مع جميع الحالات الفكرية.

ونظرا لارتباط التقاليد بالتاريخية في تختلف من وقت لآخر, ولكن يرى ماكينتاير أنه على الأفراد التمسك بالتقاليد والانطلاق منها في الزمن الذي نعيش فيه, وعدم رفضها والمضي قدما على كل ماهو قديم ومتوارث بحجة التحديث, ويرى أن نقطة الانطلاق للمعرفة تتم من خلال العقلانية العملية والممارسة.

[7] Ibid, P.P.360-361.
[8] Ibid, P.P.363-364.

وفيما يلي سنوضح ماهية الحقيقة وهي الغاية والهدف من البحث العقلاني.

ماهيـة الحقيقـة: الحقيقة هي خاصية معقدة, فالشئ الطبيعي إذاً, كونه مقسما بين عقلين, يدعى صحيحا من حيث ملاءمته لكليهما, فيما يتعلق بمدى ملاءمتها للعقل الإلهي, يطلق عليه حقا بقدر ما يحقق ما أمر به العقل الإلهي, ما ينبثق إذن من مناقشة التبرير العقلاني لأحكام معينة في علم متقن من قبل أرسطو في التحليلات اللاحقة, ثم يتبعه الأكويني عن كثب في تعليقه, ومن مناقشة الحقيقة من قبل الأكويني, حيث يتم تجميع الأطروحات الأرسطية مع الأوغسطينية, هو أن كلا من الحقيقة والتبرير العقلاني لهما مكانهما في مخطط واحد من الفهم الكامل وأن العلاقة بينهما تعتمد على أماكن كل منهما في هذا المخطط , ولكن ما يوفره هذا المفهوم للعلم المتأثر هو توصيف الهدف, وهو النهاية الداخلية لأنشطة البحث وتوجيهها[9]. قد يبدو أن وجهة النظر هذه للعلاقة بين الحقيقة والتبرير العقلاني نفسها تثير صعوبة لا يمكن التغلب عليها, لقد اتبعت أرسطو في اعتبار الحقيقة هي الهدف من البحث العقلاني, والاستقصاء العقلاني الذي يتم تصوره على هذا النحو, يجب أن يتضمن تقدما نحو تلك الغاية من خلال استبدال الأشكال الأقل ملاءمة بأشكال أكثر ملاءمة من التبرير العقلاني, لذا فإن التقدم في البحث العقلاني فيما يتعلق بطبيعة ووضع السلع والفضائل والحقوق البشرية يجب أن يظهر حركة من وجهات النظر الأولية المحلية والجزئية والمنحازة نحو نوع من الفهم, والحياة نوع من الممارسة, تم تحريرها بطريقة مهمة من قيود هذا الانحياز وتملك الموارد التي من شأنها أن تمكنها من شرح في ضوء الفهم الذي تم تحقيقه بهذه الطريقة"[10].

قدم البعض الحقيقة على أنها ليست أكثر من إضفاء الطابع المثالي على التأكيد المضمون ومن قبل آخرين, كمفهوم يمكن الاستغناء عنه تماما, لقد تم ربط معايير الضمان والتبرير بالسياقات الاجتماعية, لكن الفلاسفة كانوا على خلاف مع بعضهم البعض بطرق متنوعة, إن قصدية علاقة العقل بموضوعاته, سواء كانت

[9] Alasdair Macintyre: The MacIntyre Reader, ed.: Kelvin Knight, Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1998. P.185.

[10] Ibid, P.216.

مفهومة من قبل التوماوية أو غير ذلك, قد تم تجاهلها من قبل البعض على أنها خيال مضلل, في حين أن البعض تعامل معها كمفهوم عملي مفيد, ليس أكثر, استمر الجدل حول هذه القضايا على مستويين, في المستوى الأول, حيث كان الجدل يدور مباشرة حول الحقيقة والعقلانية والقصدية, فإن الصعوبات المقدمة ضد المفاهيم الميتافيزيقية السابقة السائدة في القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر بدت كافية لجعل هذه المفاهيم مشكوك فيها, لكنها غير كافية لجعلها غير مقبولة بشكل واضح, وعلى المستوى الثاني, انفتح الجدل بين أولئك الملتزمين برفض أو استبدال هذه المفاهيم حول السبب الذي جعل ما يجب أن يقولوه أقل حسما في النقاش الفلسفي مما توقعه, على هذا المستوى أيضا, لم يتم حل الخلافات ولا تزال وجهات النظر المتنافسة محل خلاف[١١]. والعقل الذي حقق مثل هذه العلاقة وهي الملاءمة لما هو موجود, سيكون قد تغلب على قيود المنظور والموارد المعرفية التي كانت تقتصر في السابق على الأحكام المتعلقة بما يبدو أنه هو الحال هنا, لذا فإن الادعاءات بالحقيقة التي يتم تصورها على هذا النحو هي إدعاءات بأنها تجاوزت حدود أي موقف محلي, والتوماوي يميز هذا الاختلاف يميز هذا الاختلاف من حيث التقدم الفعلي أو المحتمل في حالة لم يتحرر العقل بعد من قيود التحيزوالجانب الواحد[١٢].

النسبية والتقاليد:

قبل أن نتطرق إلى النسبية, لابد من تساؤل رئيسي: هل انطلق ماكينتاير من النسبية؟ وإن كان بالفعل انطلق منها, هل اعترف بنسبيته أم أنكرها؟

والنسبي هو مقابل المطلق, فإذا دل المطلق على الموجود في ذاته وبذاته, دل النسبي على ما يتوقف وجوده على غيره, وإذا دل المطلق على التام والكامل المتعري عن كل قيد أو استثناء, دل النسبي على المقيد أو الناقص أو المحدود, ونسبية المعرفة: ترجع إلى القول بأن العقل لا يستطيع أن يعرف كل شئ, فإذا عرف بعض الأشياء لا يستطيع أن يحيط بها إحاطة تامة, وما من فكرة في العقل إلا كان إدراكها تابعا لمعارضتها بفكرة سابقة مختلفة عنها, لذلك كان من المحال ادراك المطلق, والمقصود بالنسبية الأخلاقية: المذهب الذي يقرر أن فكرة الخير والشر

[11] Ibid, p. 194.
[12] Alasdair Macintyre: The Tasks Of Philosophy, Ibid, P.64.

تتغير بتغير الزمان والمكان[١٣]. ويمكن تسمية أي عقيدة بالنسبية التي ترى أن شيئا ما موجود, أو له خصائص أو سمات معينة فيما يتعلق بشئ آخر, والنسبية هي إنكار وجود أنواع معينة من الحقائق العالمية [١٤].

في تاريخ الفلسفة, يبدو أن أول تعبير لوجهه نظر نسبية للمعرفة قد قدمه بروتاجوراس في عمله الحقيقة, الذي فقد الآن, ولكنها معروفة على نطاق واسع من خلال عرض أفلاطون لها في ثياتيتوس, ما هي النسبية البروتاجورية ؟ النسبية البروتاجورية هي نوع من الصيغة العامة للنسبية المعرفية المذكورة أعلاه, إنها وجهة النظر القائلة بأن الأشياء والمعرفة لكل إنسان كما تبدو له, المعرفة والحقيقة مرتبطان بالفرد, فإن وجهة نظر بروتاجوراس تنكر وجود أي معيار أعلى من الفرد الذي من خلاله يتم الفصل في ادعاءات الحقيقة والمعرفة, ويكمن التطرف في نسبيته في الادعاء بأن المعرفة مرتبطة بالفرد, وإنما يمكن للمرء أن يعترف بوجود نسبية عامة دون احتضان الفردية البروتاجورية المتطرفة, وأشار ماكينتاير إلى أن وجهات نظره المعرفية تتجنب هذا النوع من النسبية البروتاجورية المتطرفة, ويؤكد أن المعرفة تتضمن نوعا من الممارسة والنشاط الجماعي[١٥]. أثارت نظرية ماكينتاير عن دور التقليد في الأخلاق ونظريته عن العقلانية الجدل منذ صدور كتاب ما بعد الفضيلة, هذا الجدل لم يحسمه عدالة من؟ أي عقلانية؟ أو ثلاث إصدارات متنافسة من التحقيق الأخلاقي, بصرف النظر عن الرواية التاريخية لماكينتاير, كان التركيز الرئيسي على "مشكلة النسبية" ادعى العديد من النقاد أن نظرية ماكينتاير تحبس اتباعها في نفس النوع من النسبية الأخلاقية التي يدعي ماكينتاير أنه تغلب عليها من خلال نظريته عن العقلانية, ويعترف ماكينتاير بوجود نوع معين من النسبية كحقيقة لا يمكن التغلب عليها, لكنه يميز هذا النوع من النسبية

[١٣] جميل صليبا: المعجم الفلسفي, الجزء الثاني, بيروت, دار الكتاب اللبناني, ١٩٨٢, من ص ٤٦٥-٤٦٧.

[14] Mosteller, Tim: Relativism in Contemporary American Philosophy, London: Continuum International Pub. Group, 2006, P.2.

[15] Ibid, P.P, 5-6.

عن النظريات الفلسفية القائلة بأن الحقيقة نسبية أو أن مظاهر الحقيقة تعتمد كليا على منظور المرء[١٦].

يبدو أن مفهوم الحقيقة المعتمد على التقاليد لا يمكن تمييزه عن النسبية, والمشكلة هي أنه إذا كانت الحقيقة تعتمد على النموذج الموجود فقط, إذاً لا معنى للمطالبة بوجود نموذج حقيقي مطلق, وفي عام ١٩٨٩جادل روبرت جورج بالمثل بأن خصوصية وتاريخية ماكينتايرتؤدي حتما إلى النسبية, ولا يمكن تجنب النسبية الحاسمة في التفكير العملي وبالتالي في النظرية السياسية والأخلاقية, وكان رد ماكينتاير على تلك المشكلة وفقا لجورج, هو الإشارة إلى أن الأشخاص خارج أي تقليد هم في حالة عوز فكري وأخلاقي, ماكينتاير غير قادر على تجنب النسبية الأساسية والحاسمة, إن إنكار الوصول للمبادئ الأولى للتفكير هي نسبية بحكم الواقع, لأنه حتى نتمكن من الوصول إلى المبادئ الأولى المشتركة عبر التقاليد ليس لدينا سوى المعايير النسبية, ويظهر جورج قلقه بشأن القانون الطبيعي, إذا لم تكن هناك مبادئ أولية معترف بها عالميا موضوعية بشكل كاف لحل الخلافات بين التقاليد, فإن هذا يهدد القانون الطبيعي الذي يمكن بموجبه حل مثل هذه الخلافات بدقة من خلال اللجوء إلى المبادئ الأخلاقية الأساسية, والمعترف بها عالميا من كافة المجتمعات والتقاليد البشرية[١٧].

وفي التعامل مع التقاليد نجد ماكينتاير يحافظ مرة أخرى على النسبية, مثلما وجد أن السلوك البشري يجد معناه في سرد حياه بشرية كاملة, وجد أن حياة الإنسان تقع بالضرورة ضمن تقاليد موروثة(أنا ورثت من ماضي عائلتي, مدينتي, قبيلتي, مجموعة من الديون, الميراث, الالتزامات المشروطة), وتنشأ النسبية من خلال أزمة معرفية حيث تفقد المعايير العقلانية للتقليد سلطتها على اتباع ذلك التقليد, والطريقة الوحيدة التي يمكن للفرد أو المجتمع من خلالها حل أزمة معرفية تكمن في إنشاء معايير جديدة للعقلانية يمكنها التغلب على التحديات التي جعلت معاييرهم القديمة موضع تساؤل, لا تنشأ الأزمات المعرفية والتغييرات من اليقين بل من عدم

[16] Christopher S. Lutz: Tradition in The Ethics of Alasdair Macintyre, Oxford: Lexington Books, 2004, P.P65-66.

[17] Bryan R.Cross B.S., M.Div: Alasdair Macintyre On The Practice Of Philosophy, Ph.D In philosophy, Saint Louis University,2012, P.106-107-110.

اليقين[١٨]. ونستنتج من ذلك أنه وفقا لماكينتاير لو لم تحدث حالة من الشك وتم التعامل مع جميع الأشياء والمبادئ على أنها من المسلمات, لا نجد أزمات معرفية تستوجب التغيير والتقدم, ومن خلال ما سبق نجد ماكينتاير يعتنق النسبية في فلسفته الأخلاقية والسياسية كما سنوضح فيما بعد, ولكنه لا يعترف بذلك ويحاول انكارها والتنصل منها. ويقدم ماكينتاير دفاعا أكثر عمومية ضد تهمة النسبية الأخلاقية من خلال الإدعاء بأن الخلافات الأخلاقية تفترض مسبقا مفهوما للحقيقة, واتباع التقاليد المتعارضة لا يختلفون في الواقع كل تقليد يضع تعريفا للحقيقة, فهو يدافع عن وجهة نظره الخاصة ضد اتهامات النسبية ويدافع عن تعريف التوماوية للحقيقة, ولكن لا يوجد سبب ظاهر لرفض فلسفة ماكينتاير على أساس النسبية[١٩] . يرى بعض النقاد أن رفض ماكينتاير للفلسفات الحديثة يترك نظريته الخاصة دون أساس معياري يمكنه الصمود أمام الحجة النقدية, واستنتج أحد النقاد أيضا أن ماكينتاير يستبدل الأنطولوجيا بالتقاليد الإجتماعية, وأن ماكينتاير يخضع للنسبية ذاتها التي يخشاها, وبالنظر إلى رفض ماكينتاير الكامل للفلسفات الحديثة, فمن الأفضل أن يدرك مدى قربه من النسبية الكاملة, في هذا السياق يسأل جيفري اسحاق: هل يمكننا أن نكون أي شئ تخبرنا به تقاليدنا (المتناقضة)؟ هل هذه الحالات عادلة حقا؟ بتجنب هذه الأسئلة الوجودية يقع ماكينتاير في حفرة النسبية التي يخشاها بحق[٢٠].

وفقا لماكينتاير, لا يمكن فصل العقلانية عن التقليد, لأن العقلانية الموضوعية سواء كانت عملية أو تأملية هي نوع من الفن العملي, تتطور العقلانية الموضوعية داخل مجتمع من الممارسيين الذين يقيسونها بمعايير مشتركة, فالعقلانية شيئا ينشأ من التقاليد نفسها ومرتبطة بها, في تفسير ماكينتاير للعقلانية فهو لا يفصل المجتمعات بطريقة تجعلها في خلاف جذري وغير قابل للحل, على العكس من ذلك فهو يقدم أفضل تفسير حتى الآن لسبب تنوع وجهات النظر العقلانية, ونتيجة لذلك فإنه يوفر

[18] Christopher S. Lutz,: Tradition in The Ethics of Alasdair Macintyre, Ibid,P.P.78-87.

[19] Freeman, Russell H.: A Comparative Critique of the Moral Philosophies of Alasdair MacIntyre and John Hare,Ph.D,In Philosophy, The Southern Batist Theological Seminary,2015. P. 84.

[20] Kelly, Lori Carsen: After Religion: Christianity, Politics, and the Search for Objectivity in the Thought of Alasdair MacIntyre, *Ph. D. in Philosophy*, Columbia University, 1992, P.P 60-61.

طريقا لحل الخلافات الجذرية, فلا يتم إلغاء مشكلة التنوع بل يتم تحويلها بطريقة تجعلها قابلة للحل, فالعقلانية التأسيسية هي تشخيص مشكلة الخلاف الجذري, وهي لا يمكن تشخيصها إلا من خلال التاريخ[٢١]. ومفهوم البحث العقلاني كما يتجسد في التقليد, وهو مفهوم تنبثق بموجبه معايير التبرير العقلاني نفسها وتشكل جزءا من التاريخ, وما يهدد الإعتراف بخصوصية العقلانية والتفكير العملي هو احتمالات الحل النهائي للصراع بين التقاليد المتنافسة المتعددة, يقر ماكينتاير بأن عواقب الخصوصية تبدو وكأنها تؤدي بشكل حتمي إلى النسبية, ولمواجهة اتهامات النسبية دون اللجوء إلى العقلانية عبر الثقافات يجب على ماكينتاير أن يقدم تفسيرا للتطور الداخلي للعقلانية داخل التقاليد, يوضح كيف أن التقاليد قادرة على المقارنة والمنافسة دون اللجوء إلى معايير عقلانية [٢٢]. ونجد أن رفض ماكينتاير للعقلانية العالمية والكليات وإيمانه بأن المعرفة مرتبطة بالتقاليد والتاريخ تؤكد على نسبيته التي يحاول انكارها.

إذا كانت العقلانية دائما داخل تقليد ما, فإن التقاليد المتنافسة ستظهر دائما أقل شأنا من الناحية المنطقية, يقر ماكينتاير مع ذلك بأن شيئا مشابها للنسبية صحيح فيما يتعلق بالتقاليد التي لم تتقدم بعد بدرجة كافية للخضوع لأزمات معرفية, وأنه في مثل هذه لظروف قد تستمر التقاليد في الصراع دون حل لفترات طويلة جدا, جزء لا يتجزء من استراتيجية ماكينتاير هو توصيف النسبية على أنها انعكاس لأحادية التنوير, نسبية ما بعد التنوير هي النظيرالسلبي للتنوير, ويعرض ماكينتاير المعضلة التالية للنسبية: إما أن يقدموا إدعاءاتهم من داخل التقليد, وفي هذه الحالة يتم تقديم الحقيقة والخطأ بالفعل, أو من خارج التقليد وهو ما يستحيل القيام به, ويبدو أن الأدعاء بأن العقلانية دائما جزء لا يتجزء من التقاليد هو مجرد إدعاء يبدو أنه يتمتع بوضع افتراض أساسي لنظريته عن العقلانية, فهو لا يقدم حجة قاطعه لإدعائه بمعنى أن يوضح لماذا من الضروري أن ننظر إلى العقلانية والعقل العملي

[21] Ibid, 57-58.

[22] Nicholas Meriwether K.: On the Priority of the Good over the Right: Habermas vs. MacIntyre, *Ph. D. in Philosophy*, Purdue University, 1995, P.41.

على أنهما صنع التقليد, وسيكون من التبسيط تعريف نظرية ماكينتاير المعرفية على أنها مخالفة لموقفه تجاه الجدل المتعلق بالعالمية مقابل النسبية, يجب على المرء أن ينظر عن كثب إلى مشروعه العام, والذي يُظهر فيه أن العقلانية لا تنفصل عن التقاليد, وبالتالي لا يقدم ماكينتاير عرضا محايدا للرؤية العالمية عن عدم اتساق النسية والمنظور, ولكي يوضح ذلك,

فإنه يفترض ما ينكره, أي العقلانية العالمية المستقلة عن جميع التقاليد[٢٣]. تعتمد تهمة النسبية على فشل الافتراضات المسبقة المشتركة لإنتاج معايير مشتركة عالميا للعقلانية والعقل العملي, ويمضي ماكينتاير في الإدعاء بأنه بما أن العقلانية لا يمكن ممارستها إلا في سياق تقاليد البحث, وحجته القائلة بأن الحقيقة والباطل مرتبطان دائما بالتقاليد, يجب أن تعرف النسبية نفسها على أنها مستقلة عن أي تقليد, وهذا وفقا لماكينتاير غير قادر على القيام به[٢٤].

النسبية السياسية والأخلاقية: بينا فيما سبق النسبية بصفة عامة ونتطرق ألى النسبية الأخلاقية والسياسية على وجه الخصوص عند ماكينتاير. أحد أهم الإنتقادات الموجهة لماكينتاير أنه من أنصار النسبية, وتنشأ هذه التهمة بسبب العلاقة بين التاريخ والحقيقة, جادل كولينجوود في ضرورة فهم السياق التاريخي للمفكرين, ويتبع ماكينتاير هذا النوع من التفكير, يدعي كولينجوود على سبيل المثال أن الميتافيزيقا هي محاولة لإكتشاف ما لدى الناس في ذلك الوقت, نؤمن بالطبيعة العامة للعالم ومحاولة اكتشاف الافتراضات المقابلة للشعوب الأخرى وغيرها, وتكمن مشكلة ماكينتاير في أن وجهة نظر كولينجوود تؤدي إلى نوع من النسبية, يدعي ماكينتاير أن المرء يصل إلى الحقيقة من منظور التقليد, علاوة على ذلك يعكس تعريف ماكينتاير للعقلانية نزعته التاريخية, تدور نظريته حول التقاليد وداخل التقاليد, والتهمة الموجهة إلى ماكينتاير هي إذا لم يتمكن المنظرون من

[23] Ibid, P.P 43-44.
[24] Ibid, 45.

صياغة تقاليد خارج أي تقليد, فلا يوجد أي تقليد عالمي متاح, وإذا لم يكن هناك منظور عالمي متاح, فلا توجد طريقة للحكم بين التقاليد, ومن ثم تتبع النسبية[٢٥].
وتنطلق نسبيته في السياسة من الليبرالية. بدءا من نبذ التقاليد بأسم المبادئ العالمية المجردة للعقل, حولت نفسها إلى قوة متجسدة سياسيا, والتي أدى عدم قدرتها على إيصال نقاشاتها حول طبيعة وسياق تلك المبادئ العالمية إلى نتيجة تأثير غير مقصود لتحويل الليبرالية إلى تقليد, تختلف هذه التقاليد بالطبع عن بعضها البعض أكثر بكثير من تفسيراتها المتنافسة للعقلانية العملية والعدالة, فهي تختلف في كتالوجاتها للفضائل, وفي مفاهيمها عن الذات, وفي علم الكونيات الميتافيزيقي الخاص بهم, ويختلفون أيضا في الطريقة التي تم بها الوصول إلى كل حساباتهم الخاصة بالعقلانية العملية والعدالة في التقليد الأرسطي من خلال المؤسسات التعليمية المتتالية لسقراط وأفلاطون وأرسطو والأكويني[٢٦]. ومن خلال تفنيد أسلافه, والحجج والمقدمات التي قبلوها, قدم هيوم روايته, وضمنها الليبرالية, فإن سلسلة من روايات العدالة المتتالية تظل قائمة في نقاش أصبح غير حاسم جزئيا من خلال وجهة النظر المصاحبة للعقلانية العملية, علاوة على ذلك, فإن هذه التقاليد لها تاريخ مختلف تماما فيما يتعلق بعلاقاتها مع بعضها البعض. ولقد تشاجر اتباع التقليد الأرسطي فيما بينهم حول ما إذا كان معاديا جوهريا للأوغسطينيين أم لا, وقد أختلف الأوغسطينيون حول نفس القضية أيضا مع بعضهم البعض, وجد كل من الأرسطيين والأوغسطينيين أنفسهم بالضرورة على خلاف مع هيوم, وأيضا على أسس مختلفة نوعا ما مع الليبرالية, وكان على التقليد الليبرالي أن ينكر بعض مزاعم جميع التقاليد الكبرى الأخرى [٢٧]. لذا فإن التاريخ السردي لكل من هذه التقاليد يتضمن كلا من سرد البحث والنقاش ضمن هذا التقليد, وأيضا الجدل والاختلاف بينه وبين منافسيه, ومع ذلك تثير المزيد من السعي وراء الحجة أسئلة حاسمة الاستنتاج الذي أفضت إليه الحجة حتى الآن, ليس فقط أنه النقاشات

---

[25] Freeman, Russell H.: A Comparative Critique of the Moral Philosophies of Alasdair MacIntyre and John Hare, Ibid, P.80.

[26] Alasdair Macintyre: Whose Justice? Which Rationality?, Ibid,P.349.
[27] Ibid, P. 350.

والصراعات والتحقيق في التقاليد المجسدة اجتماعيا وتاريخيا, إن الخلافات المتعلقة بالعقلانية العملية والعدالة يتم تقديمها أو تعديلها أو التخلي عنها أواستبدالها, لا توجد طريقـة أخـرى للانخـراط فـي صـياغة وتفصـيل وتبريـر عقلانـي ونقـد حسـابات المسؤولية العملية أو العدالـة إلا من خـلال تقليد معين[٢٨]. من خـلال ذلك يتضـح أن التقاليد ليس لها معايير عالمية يتم من خلالها حل الخلافات والنزاعات بينها وهي مرتبطة بالتاريخية, فلا وجود لها خارج الزمان.

سمات نظريته المعرفية: هناك سمات رئيسية لنظرية المعرفة لماكينتاير, أولا: إن امتلاك المعرفة والعقلانية يعتمدان على جوانب منظورية معينة من تقليد إلى آخر, ثانيا: لا توجد طريقة محايدة, أو طريقة تقليدية لتقييم المعرفة المتنافسة أو ادعاءات العقلانية, يمكن أن يكون هناك هزيمة عقلانية لتقليد من قبل آخر, تتجلى أول سمتين لنظرية المعرفة لماكينتايرفي مقالته" العقلانيات العملية كأشكال من الاستنتاج", يشير ماكينتاير إلى أنه كيف يمكن لشخص أن يجادل بأن هاتين السمتين من نظريته المعرفية تؤديان إلى النسبية[٢٩], ويرى أنه يجب ألا يكون هناك مجموعة معايير عالمية محايدة يمكننا بواسطتها الحكم على نمط واحد يتفوق عقلانيا على الأنماط البديلة, وبالتالي يمكننا أن نتبنى أي واحد من بين مجموعة من المنظورات الممكنة, ولا يمكن أن يكون لدينا أسباب للحكم على على منظور متفوق على الآخر, نخلص إلى أن سمات نظريته المعرفية هي: أولا: معايير التقييم العقلاني داخلية في التقليد, ثانيا: إذا كانت معايير التقييم العقلاني داخلية في التقليد, فلا توجد معايير محايدة, ثالثا: إذا لم تكن هناك معايير محايدة, فيمكن اعتماد أي منظور, رابعا: لذلك, يمكن اعتماد أي منظور(نسبي), يقدم ماكينتاير الحجة المماثلة في كتابه عدالة من؟ أي عقلانية؟ حجة تظهر أن النسبية المعرفية هي النتيجة المنطقية لأول سمتين من نظريته المعرفية, * المعايير الوحيدة المتاحة للعقلانية هي تلك التي تتوفر داخل التقاليد, وإذا كانت المعايير الوحيدة المتاحة للعقلانية هي التي تتوفر داخل التقاليد فلا توجد مشكلة بين التقاليد المتنافسة يمكن البت فيها بشكل منطقي, لذلك لا توجد قضية بين التقاليد المتنافسة يمكن البت فيها بشكل عقلاني محايد, وكان رد ماكينتاير على هذه الحجج هو أن هناك طرقا لاتخاذ قرار عقلاني بشأن

[28] Ibid, Op.Cit,P.350.
[29] Relativism in Contemporary American Philosophy, Ibid, P.45.

التقاليد المتنازعة, وهو في الأساس دفاع عن السمة الثالثة لنظرية المعرفة[٣٠]. من الممكن أن نقول أن مشروع ماكينتاير الرئيسي في كتاباته من بعد الفضيلة إلى الوقت الحاضر كان لتأسيس وجهة نظر معينة لطبيعة الواقع ومعرفتنا بها والدفاع عنها, والنقطة المعرفية الرئيسية التي يشير إليها في جميع أعماله هي أن معرفتنا بالعالم تأتي من داخل هياكل التقليد الذي نعيش فيه, وأنني مهتم بشكل خاص بشكل خاص بالمفاهيم والحجج التي يستخدمها لتأسيس آرائه حول طبيعة المعرفة, وكيف يحاول تجنب النسبية, وتتضمن محاولته لتجنب النسبية الطريقة التي يتعامل بها مع فكرة أن المعرفة تتشكل من خلال علاقة المرء بتقليد معين[٣١]. ويرى أن التقليد الحي هو حجة ممتدة تاريخيا ومتجسدة اجتماعيا, يعمل ماكنتاير على تطوير التقاليد باعتبارها وسيلة يتم من خلالها الحصول على المعرفة البشرية, فالمعرفة المعتمدة على التقاليد ليست خاملة, بل هي بالأحرى جزء من عملية تنطوي على صراعات معرفية, داخلية وخارجية على حد سواء, يجب أن نضع اعتبارات مهمة يطرحها ماكينتاير حول التقاليد تتجسد في أشكال الممارسة الإجتماعية وتستمد حياتها منها, تتطور التقاليد لحسابات منهجية وللأهداف والغايات النهائية لحياة الإنسان, هذا الفهم للتقاليد هو أحد الأهداف الرئيسية لثلاثية ماكينتاير التي يدافع فيها عن تفوق تقليد معين[٣٢].

[30] Ibid, 46.
[31] Ibid, P. 47.
[32] Ibid, P.49.

نتائج البحث:

وفي نهاية هذا الفصل والذي تناولنا فيه نظرية المعرفة التي انطلق منها ماكينتاير في فلسفته بصفة عامة, وفلسفته السياسية بصفة خاصة, نجد أنه: ١- يرفض الفلسفات الحديثة ونجده يدعو إلى التقاليد وما هو متوارث وقديم.

٢- ونجده ينطلق من النسبية التي يحاول انكارها والتنصل منها.

٣- وينطلق من التاريخية حيث يرتبط وجود الشئ بوجوده داخل نطاق التاريخ, حيث لا وجود خارجه, وخصوصية وتاريخية ماكنتاير تؤدي حتما إلى النسبية.

٤- يرفض العقلانية العالمية والمبادئ الكلية, ويرى أنه لابد من وجود أزمات معرفية, وحتما لا تنشأ هذه الأزمات من اليقين بل من عدم اليقين, فلا تكون هناك مسلمات ويقين مطلق, وأن العقلانية مرتبطة بالتقاليد, وأن المرء يصل إلى الحقيقة التي هي غايته من منظور التقليد, وأن المعرفة تتضمن نوعا من الممارسة والنشاط الجماعي.

ومن نتائج نظريته المعرفية في فلسفته السياسية, التي ترفض المبادئ الكلية وتتمسك بما هو قديم ومتوارث ٥- أنه رفض الحداثة وانتقدها بشدة ورفض أفكار ومبادئ العصر الحديث, ٦- نقده لليبرالية التي تحاول وضع معايير كلية عالمية.

المصادر والمراجع:

1. Alasdair Macintyre: First Principles, Final Ends, and Contemporary Philosophical Issues, Milwaukee: Marquette University Press, 1990.
2. Alasdair Macintyre: The MacIntyre Reader, ed.: Kelvin Knight, Notre Dame, IN: University of Notre Dame Press, 1998.
3. Alasdair Macintyre: Whose Justice? Which Rationality?, Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1988.
4. Alasdair Macintyre:The Tasks of Philosophy: Selected Essays, Volume 1., Cambridge: Cambridge Univ. Press, 2006.
5. Bryan R.Cross B.S., M.Div: Alasdair Macintyre On The Practice Of Philosophy, Ph.D In philosophy, Saint Louis University,2012.
6. Freeman, Russell H.: A Comparative Critique of the Moral Philosophies of Alasdair MacIntyre and John Hare, *Ph. D. in Philosophy*, The Southern Baptist Theological Seminary, 2015.
7. Kelly, Lori Carsen: After Religion: Christianity, Politics, and the Search for Objectivity in the Thought of Alasdair MacIntyre, *Ph. D. in Philosophy*, Columbia University, 1992.
8. Lutz, Christopher S.: Tradition in The Ethics of Alasdair Macintyre, Oxford: Lexington Books, 2004.

9. Meriwether, Nicholas K.: On the Priority of the Good over the Right: Habermas vs. MacIntyre, *Ph. D. in Philosophy*, Purdue University, 1995.
10. Mosteller, Tim: Relativism in Contemporary American Philosophy, London: Continuum International Pub. Group, 2006.
11. جميل صليبا: المعجم الفلسفي, الجزء الثاني, بيروت, دار الكتاب اللبناني, ١٩٨٢.